رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأعدائه

دراسة قرآنية

إعداد:

أ. عبير مشبب محمد آل جعال الأحمري

محاضرة–جامعة تبوك

قسم الدراسات الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير خلقه نبينا محمد، وعلى آله وصحبه التابعين له بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد: فإن نظرة الإسلام إلى البشرية ملؤها الرحمة، والشفقة، ولا يمكن أن تكون غير هذا؛ لأن الدين الإسلامي آخر الأديان التي شرعها الله سبحانه وتعالى، وأمر الناس كافة بالدخول فيه، وإضافة إلى ذلك كله، فإن الله قد بعث رسول الإسلام رحمة للإنسانية ورحمة للعالمين فقال: (ومَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107)) [الأنبياء: 107]، ولذا فقد رأيت أن أقدم لكم هذا البحث، تحت عنوان: "رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأعدائه دراسة قرآنية".

أولا: أهداف البحث:

1. التأكيد على أن الإسلام هو دين الرحمة، في زمان كثرت فيه الافتراءات على الإسلام.
2. إثبات فطرية الرحمة في الرسول صلى الله عليه وسلم، وتأصلها في نفسه.
3. إبراز صور رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأعدائه في القرآن الكريم.
4. بيان الآيات الدالة على شفقة النبي صلى الله عليه وسلم بأعدائه وعفوه عنهم، وشرح الآيات الدالة على حزنه صلى الله عليه وسلم على إصرار أعدائه على الكفر والشرك.
5. بيان أن موضوع الرحمة من أهم الموضوعات، التي ينبغي أن يعني بالبحث فيها، ونشرها في هذا الزمان.

ثانيا: مشكلة البحث:

اتهم الإسلام زورا وكذبا بأنه دين العنف والشدة والقتل، وخفي على بعض المسلمين جوانب الرحمة فيه وفي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجاء هذا البحث ليبين رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأعدائه.

ثالثا: الدراسات السابقة في الموضوع:

لم أجد بعد البحث من كتب في الموضوع سوى بعض الأبحاث المطبوعة المتعلقة بمؤتمر نبي الرحمة، التي تطرقت بصورة مخالفة لما ورد في البحث، والمتأمل في عناوين هذه الأبحاث ومحتوياتها يلحظ الاختلاف بين مضمون تلك الأبحاث، ومضمون هذا البحث، ومن هذه الأبحاث:

1. رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأعدائه، إعداد د: فوزي بن درامن.
2. معالم الرحمة في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع المبتدئ والجاهل والعاصي، إعداد د: سليمان الشجراوي.

أما البحث الأول: فمباحثه تختلف عن موضوع البحث، إلا في مبحث واحد، وهو الآيات التي أشارت إلى رحمته صلى الله عليه وسلم بأعدائه، وهذا المبحث كذلك اختلف معه من ناحية المنهج الذي سار عليه الباحث في بحثه. وأما البحث الثاني فمباحثه أيضا تختلف عن موضوع البحث، وقد أبرز البحث من جانب السيرة النبوية.

رابعا: منهج البحث:

لقد اعتمد في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي. ويتلخص فيما يلي:

1. جمعت الآيات القرآنية التي لها علاقة بعناوين هذا البحث.
2. اقتصرت على الأحاديث الصحيحة، وقد حرصت على اختيار ما ورد في الصحيحين أو أحدهما.

3. حرصت على عزو الأقوال لأصحابها، وعزو ذلك إلى مصادره، وما تصرفت فيه أشرت إلى ذلك بعبارة: (تصرف).

خامسا: خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة على التفصيل التالي:

المقدمة: وفيها أهداف الموضوع، ومشكلة البحث، ومنهجه وخطته.

التمهيد: ويتضمن مفهوم الرحمة ونظائرها في القرآن الكريم.

المبحث الأول: حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية أعدائه، وعفوه وصفحه عنهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حرص النبي صلى الله عليه وسلم، على هداية أعدائه.

المطلب الثاني: عفو النبي صلى الله عليه وسلم، وصفحه عن أعدائه.

المبحث الثاني: تحسر النبي صلى الله عليه وسلم، وأساه وحزنه على عدم هداية الكفار، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تحسر النبي صلى الله عليه وسلم، وأساه على عدم هداية الكفار.

المطلب الثاني: حزن النبي صلى الله عليه وسلم، على عدم هداية الكفار.

المبحث الثالث: وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه رحمة للمنافقين، واستغفاره لهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمنافقين.

المطلب الثاني: استغفار النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات، التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

ويلي ذلك الفهارس العامة.

وختاما: فالشكر كله لله سبحانه وتعالى على ما وفق ويسر لاختياري هذا البحث وإتمامه، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله أعلم وأجل.

التمهيد

مفهوم الرحمة، ونظائرها في القرآن الكريم

معنى الرحمة لغة:

الرحمة: من رحمه يرحمه، رحمة ومرحمة، إذا رق له، وتعطف عليه، وهي مأخوذة من مادة (رحم)، التي تدل في الأصل على (الرقة والعطف والرأفة) [1].

جاء في لسان العرب الرحمة بمعنى (المغفرة) [2]، وحكى ابن سيده: "أصل الرحمة النعمة" من قوله سبحانه وتعالى: (قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي) [الكهف: 98]، كما أن حقيقة الرحمة (الإنعام على المحتاج) [3].

معنى الرحمة اصطلاحا:

عرف أهل العلم الرحمة في الاصطلاح بمعان، عدة مأخوذة من دلالة المعنى اللغوي للكلمة، ومن هذه التعريفات:

قال الراغب الأصفهاني: "الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو رحم الله فلانا"[4]؛ ولذا فإن الرحمة ليست عبارة عن انفعالات وأحاسيس عاطفية

([1]) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس مادة: رحم، (2/ 498).
([2]) انظر: لسان العرب، لابن منظور مادة: رحم، (5/ 173).
([3]) انظر: المخصص، لابن سيده (5/ 225).
([4]) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة: رحم (1/ 253).

داخل النفس فحسب، بل إن لها آثارا واضحة للعيان في العلاقة بين الراحم والمرحوم. وقيل: "الرحمة حالة وجدانية تعرض غالبا لمن به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان"[1].

وحدها الطاهر بن عاشور، فقال: الرحمة: "اسم مصدر لصفة الراحم، وهي من صفات الإنسان، فهي رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه". ويعرفها السعدي بأنها: "رقة القلب وصفوه ورحمته للخلق، وزوال قسوته وغلظته، وهي من أخلاق صفوة الخلق"[2]. وفيما تقدم من معاني الرحمة، قال ابن القيم: "مما ينبغي أن يعلم: أن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من أوصل إليك مصالحك، ودفع المضار عنك، ولو شق عليك في ذلك"[3]. وعلى الجملة، فإن لفظ (الرحمة) من الألفاظ العامة والشاملة، التي يدخل في معناها كل خير ونفع يعود على الإنسان في دنياه وآخرته.

نظائر الرحمة في القرآن:

هناك نظائر لكلمة الرحمة، وردت في القرآن الكريم، يدور معناها حول معنى الرحمة، وهي:

([1]) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي (ص 471). الرحمة في القرآن الكريم، موسى عسيري (ص 21–22).

([2]) انظر: فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبد الرحمن السعدي: (ص: 144)، الرحمة في القرآن الكريم، موسى عسيري (21–22).

([3]) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، (2/ 901).

1. الرأفة: عبر ابن فارس عن أصل هذه الكلمة، فقال: "الراء والهمزة والفاء كلمة واحدة تدل على رقة ورحمة، وهي الرأفة"[1]، وقد ذهب المفسرون إلى أن الرأفة أخص من الرحمة، ومما ذكروه على هذا المعنى قولهم: الرأفة: أشد الرحمة [2]، أو الرأفة: أعلى معاني الرحمة [3] أو الرأفة: ألطف الرحمة وأرقها [4].

قال الزجاج: "الرأفة هي المنزلة الثانية، يقال: فلان رحيم، فإذا اشتدت رحمته فهو رءوف"[5]. وقد وردت هذه اللفظة مفردة كقوله تعالى: (ولا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) [النور: 2]. ومقترنة بلفظ الرحمة كقوله تعالى: (رَأْفَةً ورَحْمَةً) [الحديد: 27].

2. الحنان: عرف ابن فارس هذه الكلمة فقال: "الحاء والنون أصل واحد، وهو الإشفاق والرفة...، والحنان: الرحمة". قال الله تعالى: (وحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا) [مريم: 13]. وتقول: حنانك أي رحمتك ... وحنانيك، أي حنانا بعد حنان، ورحمة بعد رحمة"[6] قال ابن عطية: "والحنان الرحمة والشفقة والمحبة قاله جماعة المفسرين"[7] قال ابن الأنباري: "لم يختلف اللغويون أن الحنان الرحمة"[8]، وقد وردت هذه اللفظة في موضع واحد من القرآن الكريم في حق نبي الله يحيي عليه السلام، قال تعالى: (وحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وزَكَاةً وكَانَ تَقِيًا) [مريم: 13].

([1]) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: رأف (2/ 471).

([2]) انظر: مجاز القرآن، معمر البصري، (1/ 59)، تفسير القرآن، السمعاني (1/ 150)، معالم التنزيل، البغوي (1/ 161).

([3]) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (1/ 104)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (1/ 221).

([4]) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية (1/ 421)، تفسير القرآن الكريم من سورة الحجرات وحتى الحديد، ابن عثيمين (ص: 428).

([5]) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، براهيم الزجاج، (ص: 62).

([6]) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: حن (2/ 225، 224).

([7]) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (4/ 7)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، على الواحدي (3/ 178).

([8]) نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين ابن الجوزي (5/ 214).

3. اللين: (اللام والياء والنون كلمة واحدة، وهي اللين: ضد الخشونة... وفلان ملينة، أي لين الجانب"[1] وقال الراغب الأصفهاني: "اللين ضد الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام، ثم يستعار للخلق وغيره من المعاني"[2]. وقد وردت هذه اللفظة في موضعين من القرآن الكريم: الأول في صفة خير الخلق صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) [الزمر: 22]، والثاني في صفات المؤمنين عند سماعهم لكلام ربهم، قال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) [الكهف: 98].

(1) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: لين (5/ 225).

(2) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني مادة لين (1/ 589).

المبحث الأول

حرص النبي صلى اللّه عليه وسلم على هداية أعدائه،

وعفوه وصفحه عنهم

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على هداية أعدائه رحيما بهم، بل كان يدعو لهم بالهداية، ولا يدعو عليهم بالهلاك؛ ليكشف عن قلوبهم ظلمات الجهل المدلهمة، ويطهرهم من أدناس الرين وأجناس الريب؛ ولهذا كان يتألم لعدم استجابتهم شفقة ورحمة منه صلى الله عليه وسلم عليهم، حتى أشفق عليه المولى سبحانه وتعالى وهدأ روعه من الحالة التي كان عليها، قال ابن تيمية: "الرسول صلى الله عليه وسلم بعثه الله سبحانه وتعالى هدى ورحمة للعالمين، فإنه كما أرسله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسمعية، فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس، والرحمة لهم بلا عوض، وبالصبر على أذاهم"[1].

المطلب الأول

حرص النبي صلى اللّه عليه وسلم على هدية أعدائه

قال تعالى: (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)) [يوسف] قال الشوكاني: "أي وما أكثر الناس المعاصرين لك يا محمد، أو ما أكثر الناس على العموم ولو حرصت على هدايتهم، وبالغت في ذلك بمؤمنين بالله،

(1) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (16/ 313).

لتصميمهم على الكفر الذي هو دين آبائهم"[1]، حيث اشتملت هذه الآية على فوائد منها، رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته وحرصه على هدايتهم، ومن ذلك أيضا تسلية لقب النبي صلى الله عليه وسلم كي لا يتحسر ولا يحزن على عدم استجابتهم له. وكون أكثر الناس ليسوا بمؤمنين، ومع ذلك يحرص صلى الله عليه وسلم على هدايتهم ودعوتهم، فهذا دليل على عظيم رحمته وكمال شفقته بهم. والمتدبر لكتاب الله يجد آيات كثيرة وصفت النبي صلى الله عليه وسلم بأنه صاحب القلب الرحيم، الذي جمع الله له القلوب، وتآلفت بدعوته الجموع، وما ذاك إلا جانب من جوانب رحمته بهذه الأمة وحرصه على هدايتهم؛ ولهذا سلاه الله سبحانه وتعالى، وربط على قلبه، وطمأنه بأن لا ييأس من عدم إيمانهم واستجابتهم، وأن مهمته مقتصرة على البلاغ، حيث قال تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ البَلاغُ) [الشورى: 48]. وهذا ما أشار إليه الطاهر بن عاشور عند كلامه على هذه الآية، فقال: "وجملة (ومَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) [يوسف: 104] معطوفة على جملة (ومَا أَكْثَرُ النَّاسِ) إلى آخرها باعتبار ما أفادته من التأييس من إيمان أكثرهم. أي لا يسوءك عدم إيمانهم، فلست تبتغي أن يكون إيمانهم جزاء على التبليغ، بل إيمانهم لفائدتهم"[2] كقوله: (قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ) [الحجرات: 17].

لم يفرق صلى الله عليه وسلم في دعوته بين أحمر وأسود، ولا بين أعجمي وعربي، قال تعالى: (إن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ومَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) [النحل: 37]. وهذا ما جبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الشفقة والرحمة، وما مميزة به الله حيث جعله يحرص على إيصال ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الخير والهدى، حتى يعم نفعه جميع المخلوقين، وهذه الآية خير شاهد على ذلك، قال الطبري: "فتأويل الكلام: لو كان الأمر على ما

([1]) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (3/ 79–80)، زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين ابن الجوزي (4/ 293)، مفاتيح الغيب، محمد الرازي (18/ 178).

([2]) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (13/ 62).

وصفنا: إن تحرص يا محمد على هداهم، فإن من أضله الله فلا هادي له، فلا تجهد نفسك في أمره، وبلغه ما أرسلت به لتتم عليه الحجة"[1]، وقال القرطبي: عند تفسيره لهذه الآية" أي: إن تطلب يا محمد بجهدك هداهم. (فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ومَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) أي: لا يرشد من أضله، أي من سبق له من الله الضلالة لم يهده [2]، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن حرصه على هدايتهم لا ينفعهم، إذا كان الله قد أراد إضلالهم"[3]. والمستقرئ للسنة النبوية يجد الكثير من الأحاديث التي زخرت بها سنته صلى الله عليه وسلم في رحمته وحرصه على هداية أعدائه فكما اتسع قلبه لأصفيائه، اتسع أيضا لأعدائه، مع ما لقيه صلى الله عليه وسلم منهم من أذية وصدود، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل: فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال يا محمد: فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا"[4]. "لقد وسعهم قلبه الرحيم فرأف بهم وأبى أن يهلكوا معاقبة على سوء ردهم، ونظر إلى الغد نظرة مشرقة بالأمل، لم يقف عند حاضرهم المظلم بل تجاوزه إلى الغد المرتقب ورجا إن لم تشرح قلوبهم للإيمان أن

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (14/ 218).

([2]) انظر: الجامع لإحكام القرآن، القرطبي (12/ 322-323).

([3]) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (4/ 571).

([4]) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم: (3231)، (4/ 115)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم (111)، (2/ 864).

يهدي الله قلوبا تنبثق من أصلابهم"[1]. وما هذا إلا أنموذج من سيرته صلى الله عليه وسلم في بيان رحمته وشفقته مع أعدائه من المشركين.

وعند قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ولَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ) [البقرة: 272]. وجدت رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدعوين مع علمه صلى الله عليه وسلم بأن هداية التوفيق بيد الله وحده. قال الطبري في بيان هذه الآية: "يعني ليس عليك يا محمد هدى المشركين إلى الإسلام، فتمنعهم صدقة التطوع، ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ولكن الله هو يهدي من يشاء من خلقه إلى الإسلام فيوفقهم له، فلا تمنعهم الصدقة"[2]. والناظر في كلام المفسرين عند هذه الآية يجد أنه واضح الدلالة على أن هداية التوفيق هي بيد الله سبحانه وتعالى وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملكها، ولكن لشفقته ورحمته صلى الله عليه وسلم بهم كان شديد الحرص على إخراجهم من ظلام الشرك إلى نور الإسلام والهداية، لكنهم صم عن سماع الحق لا يعقلونه كما قال الله عنهم (ومِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ ولَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ) [يونس: 42].

ويقول ابن عطية عند قوله تعالى: (ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [يونس: 99] والمعنى أن هذا الذي تقدم إنما كان جميعه بقضاء الله عليهم ومشيئته فيهم، ولو شاء الله لكان الجميع مؤمنا، فلا تأسف أنت يا محمد على كفر من لم يؤمن بك، وادع ولا عليك فالأمر محتوم، أفتريد أنت أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم، وتضطرهم إلى ذلك، والله سبحانه وتعالى قد شاء غيره [3]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ونحو هذا في القرآن، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس

([1]) انظر: الرسالة المحمدية وشواهدها، محمود عبد الوهاب (ص: 238).
([2]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (5/ 19).
([3]) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (3/ 145).

ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول) [1].

قال الطبري عند قوله تعالى: (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [القصص: 56] "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (إِنَّكَ) يا محمد (لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) هدايته (ولَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ) أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله". ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك، ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهبا (وهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) يقول جل ثناؤه: والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدي للرشاد، ذلك الذي يهديه الله فيسدده ويوفقه، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل امتناع أبي طالب عمه من إجابته، إذ دعاه إلى الإيمان بالله، إلى ما دعاه إليه من ذلك"[2].

وقد ذكر الواحدي أن سبب نزول هذه الآية كما رواه سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله سبحانه وتعالى"، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعاودانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك"، فأنزل الله سبحانه وتعالى (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (12/ 298).

([2]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (18/ 282-283).

آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) [التوبة: 113] الآية، وأنزل في أبي طالب: (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ)[1] [القصص: 56] وهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك هداية التوفيق، وليست بيده، ولو كانت بيده لجعلها لعمه أبي طالب؛ لكن الشفقة والرحمة التي امتلأ بها فؤاده جعلته يشفق على عمه ويرحمه، فاجتهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يوصل إلى عمه نظير ما صنع له.

المطلب الثاني

عفو النبي صلى الله عليه وسلم وصفحه عن أعدائه

لقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم غاية الحلم والعفو، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتألف القلوب، ويلاطف من يرجى إسلامه ويعفو عنه، ويحلم عند الغضب، ويحسن إلى المسيء، فكانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته، والإيمان به واجتماع القلوب عليه [2]. فربما أثقل صلى الله عليه وسلم على نفسه وتنازل عن حقه في سبيل إيصال ما أرسل به، حيث لم ينبثق هذا العفو والصفح، إلا من قلب رحيم مشفق على دعوة أمته للخير، وفي هذا جانب من جوانب رحمته بالمدعوين، ومن تلك الآيات الدالة على ذلك:

قوله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ونَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ولا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ واصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المحْسِنِينَ) [المائدة: 13] في هذه الآية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالعفو عن هؤلاء القوم، الذين هموا أن يبسطوا

([1]) انظر: أسباب النزول، الواحدي (1/ 347)، وأصله في مسلم، كتاب: الإيمان، باب: أول الإيمان قول لا إله إلا الله، حديث رقم: (39)، (1/ 33).

([2]) انظر: رحمة للعالمين محمد رسول الله، نشأته وأخلاقه ومعجزاته وعموم رسالته صلى لله عليه وسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني (1/ 151).

أيديهم إليه من اليهود. يقول الله سبحانه وتعالى له: اعف، يا محمد، عن هؤلاء اليهود، الذين هموا بما هموا به من بسط أيديهم إليك وإلى أصحابك بالقتل، واصفح لهم عن جرمهم بترك التعرض لمكروهم، فإني أحب من أحسن العفو والصفح إلى من أساء إليه"[1].

قال السعدي مفسرا هذه الآية، ومبينا أن العفو والصفح من الإحسان، (فَاعْفُ عَنْهُمْ واصْفَحْ) أي: لا تؤاخذهم بما يصدر منهم من الأذى، الذي يقتضي أن يعفو عنهم، واصفح، فإن ذلك من الإحسان"[2] (وأَحْسِنُوا إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المحْسِنِينَ) [البقرة: 195]، ولا شك أن العفو والصفح عنهم من الرحمة بهم.

قال ابن عاشور: "وأمره بالعفو عنهم والصفح حمل على مكارم الأخلاق"، وذلك فيما يرجع إلى سوء معاملتهم للنبي صلى الله عليه وسلم. وليس المقام مقام ذكر المناوأة القومية أو الدينية، فلا يعارض هذا قوله في براءة (قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ولا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ولا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ورَسُولُهُ ولا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وهُمْ صَاغِرُونَ) [التوبة: 29]؛ لأن تلك أحكام التصرفات العامة، فلا حاجة إلى القول بأن هذه الآية نسخت بآية براءة"[3].

قال تعالى: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) [الزخرف: 89]. في الآية إرشاد وتسلية من الله سبحانه وتعالى لنبيه. أي: فأعرض عنهم، ولا تطمع في إيمانهم لشدة كفرهم [4]. وقد تضمنت هذه الآية الكريمة ثلاثة أمور: الأول: أمره صلى الله عليه وسلم بالصفح عن الكفار. والثاني: أن يقول لهم سلام. والثالث: تهديد الكفار بأنهم

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (8/ 255).
([2]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: 226).
([3]) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (6/ 145).
([4]) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد الطنطاوي (13/ 108).

سيعلمون حقيقة الأمر وصحة ما يوعد به الكافر من عذاب النار [1]. كما أن في هذه الآية أمرا من الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن يعرض عنهم ولا يحزن لحالهم، فهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم من رحمته بهم كان كثير الصفح والعفو عنهم.

وهذا ما ألمح إليه ابن عاشور بقوله في معنى هذه الآية: "فاصفح عنهم، أي أعرض عنهم ولا تحزن لهم وقل لهم إن جادلوك: سلام، أي سلمنا في المجادلة وتركنها"[2].

(1) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي (7/ 335).

(2) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (25/ 273).

المبحث الثاني

تحسر النبي صلى الله عليه وسلم وأساه وحزنه على عدم هداية الكفار

المطلب الأول

تحسر النبي صلى الله عليه وسلم، وأساه على عدم هداية الكفار

أبان القرآن الكريم أن من نعم الله على البشرية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بالرحمة للناس جميعا، كما قال الله تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107)) [الأنبياء]، ورحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين المؤمنين به أمر معلوم، لكن رحمته صلى الله عليه وسلم لم تقتصر عليهم، بل شملت حتى الكافرين به، فما كان من حالهم إلا أن قابلوه بالرد والتكذيب والاستكبار عن قبول الحق، ومع هذا كله لم يكن همه صلى الله عليه وسلم إلا أن ينقذهم من النار، ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: (أنا ... نبي الرحمة)[1].

قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ والإِنجِيلَ ومَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ولَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ) [المائدة: 68]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه: لا تحزن، يا محمد، على تكذيب هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى من بني إسرائيل لك، فإن مثل ذلك منهم عادة وخلق في التعامل مع أنبيائهم، فكيف فيك"؟[2] وفي الآية "استخفاف بأمر أهل الكتاب– وصرف النظر عنهم، وتركهم في ضلالهم يعمهون، ليلقوا المصير السيئ الذي يلقاه المحادون لله، الكافرون به، غير

([1]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: في أسمائه صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (126)، (2/ 1106).

([2]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (8/ 547).

مأسون عليهم.. إذ كان ذلك من صنع أيديهم، وما جنته عليهم أنفسهم، وقد نصحوا فلم ينتصحوا، وأنذروا فلم تغنهم النذر.. ومن كان هذا شأنه فلا يستحق أن يأسى (أي يحزن) عليه أحد"[1]. قال الآلوسي وقوله: (فَلا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ) أي: "لا تأسف ولا تحزم عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم، فإن غائلة ذلك موصولة بهم وتبعته عائدة إليهم، وفي المؤمنين غنى لك عنهم، ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر، وقيل: المراد لا تحزن على هلاكهم وعذابهم، ووضع الظاهر موضع الضمير للتنبيه على العلة الموجبة لعدم الأسى، ولا يخلو عن بعد إن الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق للترغيب في الإيمان والعمل الصالح"[2].

وقد سلى الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: (فَلا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ) فالفاء للفصيحة لتتم التسلية؛ لأن رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالخلق تحزنه مما بلغ منهم من زيادة الطغيان والكفر، فنبهت فاء الفصيحة على أنهم ما بلغوا ما بلغوه إلا من جراء الحسد للرسول صلى الله عليه وسلم، فحقيق أن لا يحزن لهم [3].

قال أبو حيان في تفسيره لهذه الآية قال تعالى: (فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) [فاطر: 8]. "هذا من فرط رحمته للناس، ورأفته بهم"[4] والآية بمعنى: لا تهلك نفسك حزنا على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لك [5] وقال الشوكاني: "إن الله سبحانه وتعالى نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن شدة الاغتمام بهم والحزن

([1]) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (3/ 1143).
([2]) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي (6/ 200).
([3]) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (6/ 267).
([4]) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (3/ 126).
([5]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (19/ 334)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لعلي الواحدي (3/ 501).

عليهم [1]. (فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) أي فلا تفعل ذلك، أي لا ينبغي لك ذلك؛ فإنهم أوقعوا أنفسهم في تلك الحالة بتزيين الشيطان لهم ورؤيتهم ذلك حسنا وهو من فعل أنفسهم فلماذا تتحسر عليهم"[2].

قال تعالى: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفًا (6)) [الكهف]. دلت هذه الآية بمفهومها على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن إهلاك نفسه أسفا على المكذبين. قال ابن كثير: يقول تعالى مسليا رسوله صلى الله عليه وسلم في حزنه على المشركين، لتركهم الإيمان وبعدهم عنه، كما قال تعالى: (فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) [فاطر: 8] وقال: (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [الشعراء: 3] باخع: أي مهلك نفسك بحزنك عليهم؛ ولهذا قال (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ) يعني: القرآن، (أَسَفًا) يقول: لا تهلك نفسك أسفا، أي: لا تأسف عليهم، بل أبلغهم رسالة الله، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات[3]. قال أبو حيان عند ذكر معاني لعل عند تفسير قوله تعالى (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ): "والذي يظهر أنها للإشفاق أشفق أن يبخع الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه لكونهم لم يؤمنوا"[4].

وعند قوله تعالى: (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [الشعراء: 3] يقول تعالى ذكره: لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك، ويصدقوك على ما جئتهم به، والبخع: هو القتل والإهلاك في كلام العرب[5]؛ لأن نفسه عليه السلام كادت تهلك وتتلف؛ إشفاقا عليهم بما ينزل بهم بتركهم الإسلام، وهذا ليس على

([1]) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (4/ 448).
([2]) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (22/ 264).
([3]) تفسير ابن كثير: (5/ 137).
([4]) البحر المحيط: (6/ 96).
([5]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (17/ 543).

النهي، ولكن على تسكين نفسه وتقريرها على ما هي عليه[1]. قال ابن كثير "وقوله: (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ) أي: مهلك (نَّفْسَكَ) أي: مما تحرص (عليهم) وتحزن عليهم (أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)، وفي هذا تسلية من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار"[2].

المطلب الثاني

حزن النبي صلى الله عليه وسلم على عدم هداية الكفار

لقد أبان القرآن الكريم في مواضع كثيرة حزن النبي صلى الله عليه وسلم من عدم استجابة الكفار لدعوته، وما ذاك إلا لكمال شفقته ورحمته بهم طمعا منه صلى الله عليه وسلم في إيمانهم، حيث لم تقف رحمته صلى الله عليه وسلم عند الإعراض عن أذيتهم، والحلم عن جهالتهم، بل إنها تعدت ذلك إلى مجال أرحب وأفسح، يتجلى في حرصه البالغ على دعوتهم وهدايتهم، وإنقاذهم من النار، وهذه هي غاية الرحمة التي اتصف بها نبي الرحمة، وما ذكره المفسرون عند كلامهم على الآيات الدالة على حزن النبي صلى الله عليه وسلم من عدم استجابتهم للحق دليل واضح على رحمته بهم، ومن تلك الآيات:

قوله تعالى: (ولا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (176)) [آل عمران: 176]. هذه الآية فيها التقليل من شأن المكذبين؛ ولذلك نهى الله سبحانه وتعالى نبيه عن الحزن على أولئك المكذبين، "فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك، فسلاه الله سبحانه

([1]) انظر: تأويلات أهل السنة، محمد الماتريدي (8/ 131).

([2]) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (6/ 135).

وتعالى، ونهاه عن الحزن، وعلل ذلك بأنهم لن يضروا الله شيئا، وإنما ضروا أنفسهم بأن لا حظ لهم في الآخرة، ولهم عذاب عظيم"[1].

كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على الخلق، مجتهدا في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، قال الله تعالى: (ولا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ) من شدة رغبتهم فيه، وحرصهم عليه (إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا) فالله ناصر دينه، ومؤيد رسوله، ومنفذ أمره من دونهم، فلا تبالهم ولا تحفل بهم، إنما يسعون في ضرر أنفسهم، بفوات الإيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم في الأخرى، من هوانهم على الله وسقوطهم من عين (رعايته)، وإرادته أن لا يجعل لهم نصيبا في الآخرة من ثوابه؛ فخذلهم ولم يوفقهم لما وفق له أولياءه، ومن أراد به خيرا، عدلا منه وحكمة؛ لعلمه بأنهم غير زاكين على الهدى، ولا قابلين للرشاد، لفساد أخلاقهم وسوء قصدهم"[2].

فهذه الآية دلت على أن النبي صلى الله عليه وسلم لكثير اهتمامه وألمه بحال أولئك حزن عليهم؛ وهذه هي غاية الرحمة والشفقة، خاصة أن هذا الحزن كان على أولئك القوم، الذين لم يستجيبوا لدعوته، ومع هذا حزن النبي صلى الله عليه وسلم من عدم انصياعهم للحق الذي جاء به، وهذا مصداق قوله تعالى (ومَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107)) [الأنبياء]، فوجه الله سبحانه وتعالى الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بأن لا يتأثر بحال أولئك القوم، وأن لا يهتم بأمرهم.

يختلف أسلوب القرآن من موضع إلى آخر في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم ومواساته في عدم التأثر بحال المكذبين الذين حزن النبي صلى الله عليه وسلم من عدم استجابتهم رحمة بهم، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ

([1]) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (1/ 653).

([2]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (157–158).

الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ ولَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ) [المائدة: 41]. حيث أخبره الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن قلوب أولئك صادة عن قبول الحق، الذي جاء به نبي الرحمة وقد ورد في سبب نزولها ما رواه البراء بن عازب قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودي محمما [1] مجلودا، فدعاهم، فقال: "أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم" قالوا: نعم، قال: فدعا رجلا من علمائهم فقال: أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أنك نشدتني لم أخبرك، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذ أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه"، فأمر به فرجم، فأنزل الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ) إلى قوله: (إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ) [المائدة: 41][2].

في هذه الآيات تأثير كفرهم في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وحزنه مما يقولون في نبوته، وسلاه عن ذلك ببيان سنته سبحانه وتعالى في الرسل مع أقوامهم وإياسه من إيمان الجاحدين المعاندين منهم[3] فسلاه الله بقوله: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ ولَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) [الأنعام: 33] وقد جاء في سبب نزول هذه الآية الكريم ما ذكره الواحدي، قال السدي: "التقى الأخنس بن شريف وأبو جهل بن هشام، فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هنا من يسمع كلامك غيري،

([1]) مسود الوجه، من الحممة: الفحمة، وجمعها حمم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة حمم، ابن الأثير (1/ 444).

([2]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، حديث رقم: (28)، (2/ 812-813).

([3]) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (7/ 310).

فقال أبو جهل: والله إن محمدا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية"[1].

ويضيف أبو السعود في تفسيره بعد بيانه: أن ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، بأن مكانته عليه السلام عظيمة عند الله سبحانه وتعالى وأن إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم إيذاء لله سبحانه وتعالى، فيقول: "وهذا استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه، مما حكي عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان أنه عليه الصلاة والسلام بمكانة من الله سبحانه وتعالى، وأن ما يفعلون في حقه فهو راجع إليه سبحانه وتعالى في الحقيقة، وأنه ينتقم منهم لا محالة أشد انتقام"[2].

وعند قوله تعالى: (ولا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) [يونس: 65]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا يحزنك، يا محمد، قول هؤلاء المشركين في ربهم ما يقولون، وإشراكهم معه الأوثان والأصنام فإن العزة لله جميعا، فإن الله هو المنفرد بعزة الدنيا والآخرة، لا شريك له فيها، وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون، فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحد؛ لأنه لا يعازه شيء (هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ)، يقول: وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه، وذو علم بما يضمرونه في أنفسهم

(1) انظر: أسباب النزول، الواحدي (1/ 218).

(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي (2/ 195-196).

ويعلنونه، محصى ذلك عليهم كله، وهو لهم بالمرصاد"[1]، وإلى هذا المعنى الذي ذكره الطبري في تفسير الآية أشار عدد من المفسرين[2].

ثم أمره الله بعدم النظر إلى هؤلاء المترفين بقوله: (لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) [الحجر: 88]. أي: لا تتمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن من ورائهم عذابا غليظا (ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول: ولا تحزن على ما متعوا به فعجل لهم؛ فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عجلنا لك في الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم"[3]. قوله تعالى: (ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) أي ولا تحزن على المشركين إن لم يؤمنوا، وقيل: المعنى لا تحزن على ما متعوا به في الدنيا فلك في الآخرة أفضل منه، وقيل: لا تحزن عليهم إن صاروا إلى العذاب فهم أهل العذاب [4].

ثم أمره سبحانه وتعالى بالصبر، فقال: (واصْبِرْ ومَا صَبْرُكَ إلاَّ بِاللَّهِ ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ولا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (127)) [النحل]. قال الطبري: وأصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله. (ومَا صَبْرُكَ إلاَّ بِاللَّهِ) يقول: وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله، وتوفيقه إياك لذلك (ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول: ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك وينكرون ما جئتهم به في آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة (ولا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (12/ 226).

([2]) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري (2/ 228)، فتح القدير، محمد الشوكاني (2/ 643-644)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي (11/ 179).

([3]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (14/ 127-126).

([4]) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (12/ 254).

يَمْكُرُونَ) يقول: ولا يضق صدرك بما يقولون من الجهل، ونسبتهم ما جئتهم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة، مما يمكرون: مما يحتالون بالخدع في الصد عن سبيل الله، من أراد الإيمان بك، والتصديق بما أنزل الله إليك"[1].

قال تعالى: (ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ولا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) [النمل: 70]. فقوله: (ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِم) "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تحزن على إدبار هؤلاء المشركين عنك وتكذيبهم لك (ولا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) يقول: ولا يضق صدرك من مكرهم بك، فإن الله ناصرك عليهم، ومهلكهم قتلا بالسيف"[2]، ويذكر ابن كثير في تفسيره لهذا الآية تسلية الله جل وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم في نهيه عن الحزن على هؤلاء، الذين اهتم بشأنهم شفقة ورحمة بهم، حيث قال: "ثم قال سبحانه وتعالى مسليا لنبيه، صلوات الله وسلامة عليه: (ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) أي: المكذبين بما جئت به، ولا تأسف عليهم، وتذهب نفسك عليهم حسرات"[3].

قال تعالى: (ومَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [لقمان: 23]. يقول تعالى ذكره: "ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره، ولا تذهب نفسك عليهم حسرة، فإن مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا، ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجازيهم عليها جزاءهم، يقول: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أي: إن الله ذو علم بما تكنه صدورهم من الكفر بالله، وإيثار طاعة الشيطان"[4]. فهذه نهاية من يكفر ويخدعه متاع الحياة، نهايته في الدنيا تهوين شأنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين. (ومَن كَفَرَ

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (14/ 407).
([2]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (18/ 112).
([3]) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (6/ 208).
([4]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (18/ 570).

فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ) فشأنه أهون من أن يحزنك، وأصغر من أن يهمك [1]. وانشغاله صلى الله عليه وسلم وحزنه في شأن أولئك القوم، دليل واضح على الرحمة، التي يحويها قلبه عليه السلام، فهو ينظر إليهم نظر الشفقة والرحمة فرأف بهم، وأبى أن يهلكوا وهم على حالهم، فجاءه الوحي من الله سبحانه وتعالى تسلية له صلى الله عليه وسلم بأن لا يحزن عليهم لأن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى.

([1]) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (5/ 2794).

المبحث الثالث

وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه رحمة للمنافقين [1]، واستغفاره لهم

المطلب الأول

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمنافقين

كان بعض المنافقين في المدينة إذا خلوا إلى بعضهم أخذوا يتحدثون في النبي صلى الله عليه وسلم بما يؤذيه، ويسخرون منه، وينتقصون من قدره، وكان صلى الله عليه وسلم يطلع على كثير مما يدور بينهم، أحيانا عن طريق الوحي، وأحيانا عن طريق بعض المؤمنين الذين يؤلمهم ما يسمعونه عنه صلى الله عليه وسلم. حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يغض عن أولئك المنافقين كرما منه وتسامحا، وإذا جاؤوا إليه معتذرين لم يجبهم باللوم والتعسف، بل يقبل منهم ظواهرهم، ويكل سرائرهم إلى الله سبحانه وتعالى. ومع هذا فقد كانوا يخافون من انكشاف أمرهم باطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على ما يقولونه في حقه من الكلام السيئ، ولكن بعضهم لكثرة ما يعاملهم به النبي صلى الله عليه وسلم من العفو قد ظنوا أن أمرهم قد خفي عليه، وأنه يصدقهم في كل ما يقولونه له وقبل جميع اعتذاراتهم، فلجوا في الطغيان في غوايتهم حتى بلغ لؤمهم وخبث نفوسهم أن اعتبروا ما كان يعاملهم به صلى الله عليه وسلم من

([1]) اقتصرت في هذا المبحث على هذه الآية لورود لفظ الرحمة فيها.

العفو والسماحة نوعا من الغفلة والبلة، فنزل القرآن يكشف حقيقتهم ويبن لهم خطأ ما توهموه في النبي صلى الله عليه وسلم من أنه يقبل اعتذاراتهم[1].

قال تعالى: (ومِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ويَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ويُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ورَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ والَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [التوبة: 61]. قال الرازي: "كان النبي عليه السلام يسعى في إيصال الخير والرحمة إلى المنافقين مع كونهم في غاية الخبث والخزي، ثم إنهم بعد ذلك يقابلون إحسانه بالإساءة وخيراته بالشرور"[2]؛ وقد جرأهم على ذلك إغضاؤه صلى الله عليه وسلم عن إجرامهم وإمهالهم حتى يتمكن من الإيمان من وفقه الله للإيمان منهم[3]؛ فإنه لو أمره الله سبحانه وتعالى أن يعاملهم بما يخفون من الكفر لكان ذلك أمرا بقطع رقابهم، وبقاؤهم خير لهم بالمعنى الذي يعتقدونه من لفظ الخير، وخير لهم في نفس الأمر؛ لأنه إمهال لهم يرجى أن يتوب بسببه من فيه استعداد للإيمان منهم بما يراه من آيات الله وتأييده لرسوله وللمؤمنين[4].

وقد خص المؤمنون في قوله: (ورَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ) وإن كان رحمة للعالمين؛ لأن ما حصل لهم بالإيمان بسبب الرسول عليه السلام لم يحصل لغيرهم، وخصوا هنا بالذكر وإن كانوا قد دخلوا في العالمين؛ لحصول مزيتهم [5]. وعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا: من اتبعه واهتدى بهداه، وصدق بما جاء به من عند ربه؛ لأن الله استنقذهم به

([1]) انظر: المنافقون في القرآن الكريم، عبد الله الحميدي (ص: 418).
([2]) انظر: مفاتيح الخير التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي (16/ 94).
([3]) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (10/ 243).
([4]) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (10/ 448).
([5]) انظر: البحر المحيد في التفسير، أبو حيان الأندلسي (5/ 449).

من الضلالة، وأورثهم بإتباعه جناته [1]؛ ولذا قال أبو الليث السمرقندي: "(لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ) في السر والعلانية"[2].

ويؤيد هذا القول: قوله تعالى: (والَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فهو مقابل قوله: (ورَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ) على إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالقول أو الفعل ينافي الإيمان الذي هو سبب الرحمة، فجزاؤه ضد جزائه وهو العذاب الشديد الإيلام [3]. وقيل: إن المراد بالذين آمنوا هنا: المتظاهرين بالإيمان المبطنين للكفر، وهم المنافقون [4]. وكونه رحمة لهم؛ لأنه قبل منهم الإيمان الظاهر لا تصديقا لهم بل رفقا بهم، ولم يكشف أسرارهم ولم يهتك أستارهم، وأنه رحمة لهم بقبول ظواهرهم ومعاملتهم بها معاملة المؤمنين [5]. ويؤيد هذا أن الله قال: (لِّلَّذِينَ آمَنُوا) فعبر عنهم بالفعل، ولم يقل المؤمنين بالوصف [6]. وهذا القول لم يرتضه عدد من أهل العلم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما بعث رحمة لمن أمن به حقا، وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخرتهم [7]. وأما قولهم: إن الله قال (لِّلَّذِينَ آمَنُوا) فعبر عنهم بالفعل، ولم يقل المؤمنين بالوصف؛ فهذا القول ضعيف؛ لأن كثيرا ما ناط التنزيل الجزاء على الإيمان بالتعبير عن أهله بالفعل الماضي [8]. وأما تفسيرهم كونه رحمة بالمنافقين بستره عليهم وقبول الإيمان منهم ظاهرا؛ فهو خطأ أيضا؛ لأن ذلك يعد استدراجا من الله لهم، وكيف يكون رحمة لهم وهم يعيشون في

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (11/ 539)، التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (10/ 244)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (10/ 448).

([2]) انظر: بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي (2/ 58).

([3]) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا (10/ 449).

([4]) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (10/ 244).

([5]) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري (3/ 61)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، (4/ 77)، فتح القدير، محمد الشوكاني (2/ 535)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي (10/ 127).

([6]) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (10/ 448).

([7]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص 342)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (10/ 448)، تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي (10/ 148)، المنافقون في القرآن الكريم، عبد الله الحميدي (ص: 419).

([8]) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (10/ 448).

الدنيا في أسوأ حال، وهم يتوقعون في كل يوم أن يوقع بهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا انكشفوا وظهرت حقيقتهم، وسيؤول أمرهم في الآخرة إلى أسوأ حال، حيث يكونون في الدرك الأسفل من النار؟![1]، ولما كان كل منهم يدعي الإيمان كان قوله (مِنكُمْ)، تعريضا بغير الصادقين منهم. والذي يظهر لي والله أعلم ثبوت رحمة النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين أخذا من قوله تعالى: (ومَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107)) [الأنبياء]. قال ابن القيم في تفسير هذه الآية: "... وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره"[2]. وقال محمد رشيد رضا: "وتخصيص رأفته ورحمته صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين في مقابلة ما أمر به من الغلظة على الكفار والمنافقين– لا يعارض كون رسالته رحمة للعالمين، كما هو ظاهر، فإن هذه الرحمة مبذولة لجميع الأمم، لعموم بعثته صلى الله عليه وسلم ولكن منهم من قبلها ومنهم من ردها، وقد بينا في تفسير (واغْلُظْ عَلَيْهِمْ) [التوبة: 73] أنه إنما أمر بذلك صلوات الله تعالى عليه، لأن الغالب على طبعه الشريف الرقة والرحمة والأدب في المقابلة والمعاشرة"[3]، وقد قال تعالى: (ولَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: 159]. وقد اشتملت هذه الآية بوجازة ألفاظها على مدح الرسول عليه السلام، ومدح مرسله سبحانه وتعالى، ومدح رسالته؛ بأن كانت مظهر رحمة الله سبحانه وتعالى للناس كافة، وبأنها رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه [4].

([1]) انظر: المنافقون في القرآن الكريم، عبد الله الحميدي (ص: 419).

([2]) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزية (ص: 196). وأما دلالة الآية الكريمة على رحمته صلى الله عليه وسلم بالمنافقين على قراءة الخفض ففيها عدم ظهور لهذا المعنى كما تقدم النقل عن الشنقيطي.

([3]) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رضا (11/ 72).

([4]) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (17/ 165).

والرحمة على عمومها في الآية الكريمة، وهذا العموم يحتمل وجهين: أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته [1]؛ لأن الناس كانوا ثلاثة أصناف: مؤمن، وكافر، ومنافق، وكان رحمة للمؤمنين، حيث هداهم طريق الجنة، ورحمة للمنافقين حيث أمنوا القتل، ورحمة للكافرين بتأخير العذاب [2]. الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنين قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها [3].

المطلب الثاني

استغفار النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين

كان النبي صلى الله عليه وسلم يسعى في إيصال الخير والرحمة إلى المنافقين بالاستغفار لهم تارة وبدعوتهم تارة أخرى مع كونهم في غاية الخبث والخزي، حيث قابلوا إحسانه بالإساءة وخيراته بالشرور، مع علمه صلى الله عليه وسلم أن الاستغفار لا يفيد شيئا، ولا ينفع لمثل حال أولئك المنافقين لكن شفقة منه صلى الله عليه وسلم عليهم ورحمة بهم، استغفر لبعضهم.

الآية الأولى: قال تعالى: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ) [التوبة: 80].

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (18/ 552).

([2]) انظر: بحر العلوم، السمرقندي (2/ 382)، جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية (ص: 196).

([3]) انظر: جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية (ص: 196)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (5/ 385)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي (4/ 288)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ص: 532).

قال ابن كثير "يخبر سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلا للاستغفار، وأنه لو استغفر لهم، ولو سبعين مرة، فإن الله لا يغفر لهم. وقد قيل: إن السبعين إنما ذكرت حسما لمادة الاستغفار لهم؛ لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها، ولا تريد التحديد بها، ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها"[1]. وقال الشوكاني "وليس المراد من هذا أنه لو زاد على السبعين لكان ذلك مقبولا كما في سائر مفاهيم الأعداد، بل المراد بهذا المبالغة في عدم القبول، فقد كانت العرب تجري ذلك مجرى المثل في كلامها عند إرادة التكثير، والمعنى: أنه لن يغفر الله لهم، وإن استغفرت لهم استغفارا بالغا في الكثرة، غاية المبالغ"[2]، فهذه الآية دلت على أن الاستغفار لا ينفع لمثل حال أولئك المنافقين، لكن شفقة منه صلى الله عليه وسلم ورحمة بهم استغفر لبعضهم مع علمه صلى الله عليه وسلم أن الاستغفار لا يفيدهم شيئا، وذلك عندما طلب ابن عبد الله بن أبي ابن سلول من النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي على أبيه وأن يشعره قميصه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما خيرني الله فقال: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً) وسأزيده على السبعين"، قال: إنه منافق، قال: فصلي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (ولا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ)

([1]) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (4/ 188).

([2]) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (2/ 549).

[1].وقول ابن حجر في شرحه لهذا الحديث قد جلى الاستشكال الذي في هذا الحديث من أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ بقول عمر رضي الله عنه في الصلاة على عبد الله بن أبي ابن سلول فنقل قول الخطابي في ذلك وأن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب قلب ولده فقال: وإنما لم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وصلى عليه إجراء له على ظاهر حكم الإسلام واستصحابا لظاهر الحكم، ولما فيه من إكرام ولده الذي تحققت صلاحيته ومصلحة الاستئلاف لقومه، ودفع المفسدة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح، ثم أمر بقتال المشركين فاستمر صفحه وعفوه عمن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك؛ مصلحة للاستئلاف وعدم التنفير عنه؛ ولذلك قال: (يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه)، فلما حصل الفتح ودخل المشركون في الإسلام، وقل أهل الكفر وذلوا، أمر بمجاهرة المنافقين، وحملهم على حكم مر الحق، ولاسيما وقد كان ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة على المنافقين، وغير ذلك مما أمر فيه بمجاهرتهم وبهذا التقرير يندفع الإشكال عما وقع في هذه القصة بحمد الله سبحانه وتعالى.

ويقول د. صلاح الخالدي: "ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم غلب جانب الرحمة والشفقة من رسالته وشخصيته فصلى عليه، ومشى في جنازته ووقف على قبره"[2].

الآية الثانية: قال تعالى: (ولا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ومَاتُوا وهُمْ فَاسِقُونَ) [التوبة: 84]. قال الطبري: "يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تصل، يا محمد، على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدا (ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ)، يقول: ولا تتول

([1]) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) [النمل: 7]، حديث رقم: (4670)، (6/ 67)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم: (3)، (2/ 1280).

([2]) انظر: عتاب الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن تحليل وتوجيه، د. صلاح عبد الفتاح (ص: 76).

دفنه وتقبيره"[1]، حيث ورد في سبب نزول هذه الآية أنه لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله صلوات الله عليه وقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه وأصلي عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه ثم قال: "آذني حتى أصلي عليه"، فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر بن الخطاب وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: "أنا بين خيرتين، استغفر لهم أو لا تستغفر"، ثم نزلت عليه هذه الآية: (ولا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) فترك الصلاة عليهم [2]، ويقول القرطبي: "في توجيه استغفار النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين وصلاته على ابن أبي ابن سلول "وأما الاستغفار للمنافقين الذي خير فيه فهو استغفار لساني لا ينفع وغايته تطييب قلوب بعض الأحياء من قرابات المستغفر له. والله أعلم"[3].

الآية الثالثة: قال تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ولَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ) [التوبة: 113]. هذه الآية اختلف أهل التأويل في نزولها على أربعة أقوال: فقال بعضهم: نزلت في شأن أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته، وقال آخرون: بل نزلت في سبب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه أراد أن يستغفر لها، فمنع من ذلك، وقال آخرون: بل نزلت من أجل أن قوما من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين، فنهوا عن ذلك. وقد تأول قوم قول الله: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ولَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى)، الآية أن النهي من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم، لقوله: "من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم" وقال آخرون نزلت في رجل استغفر لأبويه، وكانا مشركين، فقال له علي بن أبي طالب: أتستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: أولم يستغفر

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (11/ 610).
([2]) تقدم تخريجه.
([3]) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (10/ 322).

إبراهيم لأبيه؟ فذكر ذلك علي النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتي بعدها [1]. والذي عليه جمهور المفسرين أن الآية نزلت في أبي طالب: قال ابن عطية: "واختلف المفسرون في سبب هذه الآية، فقال الجمهور: ومداره على ابن المسيب وعمرة بن دينار، نزلت في شأن أبي طالب"[2] فعن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال: (أي عم قل معي لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله)، فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)، فنزلت: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ولَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ)"[3] أما بالنسبة لكلام المفسرين عن هذه الآية فقال أبو حيان: "ودلت الآية على المبالغة في إظهار البراءة عن المشركين والمنافقين والمنع من مواصلتهم ولو كانوا في غاية القرب، ونبه على الوصف الشريف من النبوة والإيمان، وأنه مناف للاستغفار لمن مات على ضده وهو الشرك بالله"[4]. والآية متضمنة لقطع الموالاة للكفار، وتحريم الاستغفار لهم، والدعاء بما لا يجوز لمن كان كافرا، ولا ينافي هذا ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال يوم أحد حين كسر المشركون رباعيته وشجوا وجهه: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)؛ لأنه يمكن أن يكون ذلك قبل أن يبلغه تحريم الاستغفار للمشركين، وعلى فرض أنه قد كان بلغه، كما يفيده سبب النزول، فإنه كان قبل يوم أحد بمدة طويلة، فصدور هذا الاستغفار منه لقومه إنما كان على سبيل الحكاية عمن تقدمه من الأنبياء، فعن

([1]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (12/ 19-24)، زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين ابن الجوزي (3/ 507).

([2]) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (3/ 90).

([3]) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) [التوبة: 113]، حديث رقم: (4675)، (6/ 69)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، حديث رقم: (39)، (1/ 33).

([4]) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (5/ 108).

عبد الله، قال: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: "رب اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون"[1] وفي البخاري، قال عبد الله: كأني انظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، يحكي نبيا من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"[2] قوله: (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ) هذه الجملة تتضمن التعليل للنهي عن الاستغفار، والمعنى: أن هذا التبيين موجب لقطع الموالاة لمن كان هكذا، وعدم الاعتداد بالقرابة؛ لأنهم ماتوا على الشرك.

وقد قال سبحانه وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ) [النساء: 48]؛ فطلب المغفرة لهم في حكم المخالفة لوعد الله ووعيده"[3].

([1]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، حديث رقم: (105)، (2/ 862).

([2]) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار: حديث رقم: (3477)، (4/ 176).

([3]) انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني (2/ 580).

الخاتمة

الحمد لله الذي امتن علينا بنبي الرحمة عليه السلام، وجعله رحمة للعالمين، وبعد تلك الرحلة العلمية الممتعة، يحسن إيراد بعض النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها من خلال البحث، والمتلخصة فيما يأتي:

1. لفظ الرحمة من الألفاظ العامة والشاملة، التي يدخل في معناها كل خير ونفع يعود إلى الإنسان في دنياه وآخرته.

2. وردت ألفاظ في القرآن الكريم، هي نظائر لكلمة الرحمة، حيث تقاربها في المعنى والدلالة وهي: اللين، الحنان، الرأفة.

3. دلت هذه الدراسة على أن الرحمة أصل من أصول الأخلاق؛ فلابد أن تعطي حقها من الإيضاح والدعوة.

4. أبانت هذه الدراسة فطرية الرسول صلى الله عليه وسلم على الرحمة، وتأصلها في خلقه ونفسه، بدلالة آيات الكتاب العزيز.

5. أشاد الله ببيان رحمته عليه السلام؛ ولذا فبيان رحمته أمر في غاية الأهمية للمسلمين وغيرهم.

6. يؤكد البحث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان رحيما بأعدائه مشفقا عليهم، بل كان يدعو لهم بالهداية، ولا يدعو عليهم بالهلاك.

7. أشار البحث إلى أن مبعثه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين.

8. أكدت الآيات سعي النبي صلى الله عليه وسلم في إيصال الخير والنفع إلى المنافقين، رحمة بهم مع كونهم في غاية الخبث والخزي.

التوصيات:

1. تركيز المؤتمرات حول جانب معين من جوانب شخصيته صلى الله عليه وسلم: لتعميق الدراسات حوله.
2. إفراد مصنفات في جوانب رحمته صلى الله عليه وسلم، وخاصة جانب رحمته بأعدائه؛ لأنه الأكثر دلالة وقوة.
3. التغطية الإعلامية المباشرة لوقائع المؤتمر بلغات مختلفة، وعلى فضائيات متنوعة، حيث يسهم هذا في الدفاع عنه صلى الله عليه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، محمد ابن محمد العمادي (ت: 982هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مطبعة السعادة–مصر، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

2. أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (ت: 468هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية–بيروت، ط 1، 1411هـ.

3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: 1393هـ)، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد–مكة، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

4. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي–الدمام، دون ذكر الطبعة التاريخ.

5. بحر العلوم، لنصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية–بيروت، ط 1، 1413هـ–1993م.

6. البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان 0ت: 745هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية–بيروت، ط 1، 1413هـ–1993م.

7. تفسير أسماء الله الحسنى، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري الزجاج (ت: 311هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث–بيروت، ط 5، 1406هـ–1986م.

8. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ) دار سحنون–تونس، 1984م، دون ذكر الطبعة.

9. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني (ت: 489هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن–الرياض، ط 1، 1418هـ–1997م.

10. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة–الرياض، ط 2، 1420هـ–1999م.

11. تفسير القرآن الكريم، من سورة الحجرات وحتى الحديد، محمد ابن صالح العثيمين، دار الثريا–عنيزة، ط 1، 1425هـ–2004م.

12. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي–القاهرة، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

13. تفسير الماتريدي، تأويلات أهل السنة، أبو منصور، حمد بن محمد الماتريدي (ت: 333هـ)، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية–بيروت، ط 1، 1426هـ–2005م.

14. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده–مصر.

15. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر–القاهرة، ط 1، 1998م.

16. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط 1، 1423هـ–2002م.

17. الرحمة في القرآن الكريم، موسى عبده عسيري، مكتبة الرشد–الرياض، ط 1، 1412هـ–1991م.

18. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر–القاهرة، ط 1، 1422هـ–2001م.

19. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط 1، 1427هـ–2006م.

20. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد–مكة، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

21. دار الكتب العلمية–بيروت، ط 1، 1415هـ–1994م.

22. رحمة للعالمين محمد رسول الله، نشأته وأخلاقه ومعجزاته وعموم رسالته صلى الله عليه وسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مؤسسة الجريسي–الرياض، ط 1، 1427هـ–2006م.

23. الرسالة المحمدية وشواهدها، محمود عبد الوهاب، مكتبة القاهرة–القاهرة، ط 1، 1389هـ–1969م.

24. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الآلوسي، اعتني به: السيد محمود شكري الآلوسي، دار إحياء التراث–بيروت، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

25. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المكتب الإسلامي–دمشق، ط 4، 1404هـ–1984م.

26. صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ.

27. صحيح مسلم، أبو الحسن، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: أبو قتيبة نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة–الرياض، ط 1، 1427هـ–2006م.

28. ط1، 1365هـ–1946م.

29. عتاب الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن تحليل وتوجيه، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم–دمشق، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

30. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبد الرحمن السعدي اعتنى به: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار الفضيلة–الجزائر، ط 1، 1430هـ–2009م.

31. فتح القدير، لمحمد علي الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء–مصر، ط 2، 1418هـ–1997م.

32. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت: 538هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، وآخرون، مكتبة العبيكان–الرياض، ط 1، 1418هـ–1998م.

33. الكليات، أبو البقاء، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، دار: الرسالة–بيروت، ط 2، 1419هـ–1998م.

34. لسان العرب، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: 711هـ)، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث–بيروت، ط 3، 1419هـ–1999م.

35. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت: 209هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي–القاهرة، 1381هـ، دون ذكر الطبعة.

36. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف–المدينة النبوية، 1425هـ–2004م، دون ذكر الطبعة.

37. مجموع الفتاوى، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف–المدينة المنورة، 1425هـ–2004م، دون ذكر الطبعة.

38. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية–بيروت، ط 1، 1422هـ.

39. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، تحقيق: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط 1، 1417هـ–1996م.

40. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار–القاهرة، ط 1، 1422هـ–2001م.

41. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد، الحسين بن مسعود البغوي (ت: 510هـ). تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، دار طيبة–الرياض، ط 4، 1417هـ–1997م.

42. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط 3، 1420هـ.

43. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة: نزار مصطفى الباز، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

44. مقاييس اللغة، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر–بيروت، 1399هـ–1979م، من دون ذكر الطبعة.

45. المنافقون في القرآن الكريم، عبد الله الحميدي، دار المجتمع–جدة، ط 1، 1409هـ–1989م.

46. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات، محمد بن محمد بن ابن الأثير (ت: 606هـ)، طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية–بيروت، 1399هـ–1979م، دون ذكر الطبعة.

47. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (ت: 468هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية–بيروت، ط 1، 1415هـ–1994م.